

## محاضرات مقياس الأدب الشعبي الجزائري

### السنة الثانية ماستر أدب جزائري

الأستاذ: رشيد جقريف

#### المحاضرة 06: الحكاية الخرافية cont merveilleux:

الحكاية الخرافية حكاية شعبية تروي مغامرة بطل ينطلق في سبيل الحصول على «شيء ما، أو إنجاز مهمة ما (اعتلاء العرش، الزواج بالأميرة، تخليص أسرى، الحصول على كنز...)» عالمها سحري عجيب يعلب عليه عنصر الخوارق وتتنوع شخصياته بين البشر والجن والعفاريت والحيوانات الخرافية أو الأسطورية، والجن والشياطين والوحوش...»<sup>(1)</sup>

#### 1/ فلسفة الحكاية الشعبية:

«تحاول الحكاية أو القصة الخرافية الشعبية أن تقارب بين الثقافات وأن تلغي الحدود الطبقية وكذا الحواجز المصطنعة، فتخطاها وتتجاوزها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي أو السياسي، حيث تمثل صورة الفلسفة الشعبية التي محصلتها أن الإنسان في الحياة يبني حياته بالعمل وأن ما يرغبه ممكن التحقق ولكن باستعمال العقل والمغامرة المدروسة واتباع سبل الخير والصبر وأن السعادة ما هي إلا الراحة بعد التعب والمتعة في الوجود والإحساس بها أثناء العيش، ولذلك كان الأبطال في القصص الشعبي خيرون وقذوة في التضحية والمغامرة والتفاني»<sup>(2)</sup>

#### 2/ البطل في الحكاية الشعبية الخرافية:

الحكاية الشعبية الخرافية على وجه الإجمال تركز في نصها وأحداثها على بطل بعينه وقد يكون هذا البطل طفلا صغيرا أو فتى يافعا، أو بطلا شعبيا قوميا أو تاريخيا، ولكن مهما كان الحدث ومهما كان عمر البطل فإن الشيء الأساسي الذي نلاحظه هو أن الحكاية تصور صراعا كبيرا بين الخير والشر، بين الأخلاق الحميدة والصفات الذميمة السيئة، وقد ينتصر الشر مرحليا، ولكن هذا الانتصار لا يدوم طويلا، فما تلبث أن تنكشف الحيلة ويكتشف أمر الشرير ويعاقب على أفعاله. البطل في الحكاية الخرافية هو بطل من نوع

خاص فهو خارق للعادة وغير مألوف -خارق لكل ما هو عادي ومألوف- ساحر بكلماته وأفعاله، بحياته وموته، كما أنه يكاد يخلو من أي ذاتية محققة، فهو خلاصة نقية للجماعة وهو بطل متجاوب مع روح الجماعة أو الطبقة التي ينتمي إليها وليس البطل الفولكلوري (الشعبي) بطلا بذاته، إنما هو تجسيد لآمال وأحلام طبقة من الناس خلقتة ووضعت له مسارا من الأحداث انتظم ضمن حكاية شعبية.

- فالبطل ممثل الخير الدائم والدائب يحظى دائما بمساعدة كبيرة مساعدة إنسان أو ولي أو ساحر، أو مساعدة من الله في المرحلة الدينية أو الآلهة في المرحلة السابقة عن الدين في حين تحجب هذه المساعدة عن الشرير الذي يتمتع بمساعدة قوى شريرة كالجان والشياطين.

### 3/ المساعد في الحكاية الشعبية الخرافية الجزائرية:

لا تكاد تغفل الحكايات الشعبية دور المساعد الذي يقدم النصيحة والمساعدة للبطل الذي تصادفه الأخطار من أجل الوصول إلى مبتغاه لأن هدف القصة هو تحقيق أحلام البطل مهما كانت درجة المعوقات والعقبات والصعوبات التي تواجهه «فعادة ما تشير الحكايات الخرافية إلى شخصية تتميز بالحكمة واستعمال العقل ودرايتها بشؤون الحياة ومخاطرها هذه الشخصية هي ما تطلق عليه العامة اسم المدبر، وهذه الشخصية لا تخطئ في تصورهما وفي الحكم على الأشياء وفي التضحية التي تمنحها لمن كان في ظروف قاسية خارجة عن إرادته ولا يستطيع مقاومتها»<sup>(3)</sup>

لذلك كان المدبر أو الدبّار هو المرجع الذي ينير معالم الطريق للبطل ويضمن له النجاح في مسعاه وإرشاده إلى سبل الخير وطريق النجاة، وقد يكون المدبر مستشارا مقربا للسلطان أو وزيرا من وزرائه، وفي مقابل هذه الشخصية الرجالية الخيرة في الغالب، تأتي في عالم النساء الشخصية الشريرة التي توقع بالأبطال وتكيد لهم المكائد، وهي المعروفة في الموروث الشعبي باسم (ستوت)، أم البهوت، ولكن كل مكائدها وخططها الشريرة لا تصمد ولا تنجح أمام شجاعة البطل وذكائه، ومساعدة الخيرين له.

ويرى الأستاذ الباحث محمد عيلان، أن هؤلاء المدبرين الذين يوجهون الناس ويسهلون عليهم الصعاب، هم بقايا أبطال من قصص أساطير جسدوا فيه مراحل تاريخية ضاربة في القدم

دور الآلهة التي تقف إلى جانب الإنسان كما معروف في التراث الإنساني والميثولوجيات العالمية القديمة.<sup>(4)</sup>

#### 4/ الفرق بين الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية

- الحكاية الخرافية طابعها عالمي بينما الحكاية الشعبية الواقعية طابعها محلي، فالأولى أنموذج منتشر في جميع أصقاع العالم، روايات شفوية شعبية مختلفة لكن الأصل ثابت وواحد حكاية ساندريلا، بقرة اليتامى، لونجة والغول، الجميلة والوحش، أما الثانية فتولد من رحم الواقع الشعبي المعيش، الاجتماعي أو السياسي، أو الاقتصادي، أو التاريخي، أو الفكري وهي تجسده وتعبّر عنه، بحيث ترتبط بالبيئة التي أنتجت ارتباطاً وثيقاً.

- بطل الحكاية الخرافية خرافي خارق للعادة ومخالف للمألوف لا يوجد شبيهه في الواقع المعيش، بينما بطل الحكاية الشعبية الواقعية إنسان عادي يستمد أنموذجه من الواقع المعيش، وهو جزء لا يتجزأ من الجماعة الشعبية التي ينتمي إليها.

- عالم الحكاية الخرافية سحري وعجيب يغلب عليه عنصر الخوارق بينما عالم الحكاية الشعبية الواقعية واقعي مألوف وعادي يعكس معاناة الإنسان في حياته اليومية.

- تفصل الحكاية الشعبية الواقعية بين العالم الدنيوي والعالم الغيبي بينما تحدث الحكاية الخرافية تداخلاً جلياً بين العالمين، وكأنهما عالم واحد حتى إن البطل الخرافي ينتقل بينهما في خفة وسرعة دون أدنى إشارة من الراوي إلى الحد الفاصل بينهما.

- شخصيات الحكاية الخرافية خرافية عجيبة يتحول من خلالها اللاواقع إلى واقع واللامعقول إلى معقول، فينطق النبات ويتكلم الحيوان والجماد، بينما تطابق شخصيات الحكاية الشعبية الواقعية نماذج الأشخاص الموجودين في الواقع المعيش.

وتعكس الحكايات الشعبية إيماناً شديداً بالجن والعفاريت وبالسحر وقدرة التعاويذ والتمايم وإمكان مسخ الإنسان إلى حيوان وتحويله من صورة إلى صورة.

## 5/ خصائص الحكاية الشعبية والخرافية

- يرى الباحث الجزائري «التلي بين الشيخ» بأن القصة الشعبية أو الحكاية الشعبية تتميز بالبساطة في التعبير، والإيجاز في المعنى والهدف مقارنة بالقصص المدرسي (القصص الفني المدرسي).

- بساطة الحكاية الشعبية تعبر عن مزاج شعبي يهتم بالنتيجة، وقد لا تعنيه الوسائل المعقدة، ولا يعني هذا أن القصص أو الحكواتي لا يهتم بأسلوب التشويق، وشد السامع إلى تفاصيل الحكاية، ومفاجآت الأحداث بقدر ما يعني أن القصص الشعبي له أسلوبه الخاص، ومنهجه المتميز في هذا المجال.

- المنهج العام في الحكايات الشعبية يتجه إلى مخاطبة العواطف والمعتقدات، أكثر من توجهه إلى الجانب العقلي، لذلك فإن الجماهير الشعبية لا يراودها الشك في صحة وواقعية الحكايات الشعبية خصوصا إذا ارتبط موضوع الحكاية بشخصية عربية إسلامية، أو بأحداث من تاريخ الإسلام.

- الحكاية الشعبية الخرافية تبتعد عن الزمان والمكان وهما من خصائص عالمنا الواقعي، وهي إذ تتخلص من أغلال الواقع فهي الضمان الوحيد لبطولة البطل وعجائبية الأحداث التي لا يمكن أن تحدث إلا في الحكاية العجيبة.

- التداول الشفهي جيلا عن جيل.

- الجهل بالمؤلف فهي من إبداع المخيلة الشعبية.

- من حيث الشكل هي قصة مكتملة العناصر لها بداية تبدأ غالبا بافتتاحية أو صيغة استهلالية تبدأ بالبسملة والصلاة والسلام على النبي أو بصيغ متعددة مثل «في قديم الزمان وسالف العصر الأوان... كان هناك سلطان» ووسط ونهاية وحبكة وشخصيات ترد غالبا في قالب نثري كثيرا ما تغلب عليه المحسنات البديعية في مقدمتها السجع والجناس بنوعيه التام والناقص.

- الشخصيات تشمل الحكاية الخرافية على مزيج من الشخصيات فضلا عن البطل الخرافي، وهي شخصيات من عالم الإنس (واقعية) وشخصيات من عوالم غيبية (وحوش، وغيلان، ومردة وعفاريت) وهي تتراوح بين الشخصيات الخيرة المساعدة للبطل، والشخصيات الشريرة المعوقة لمسيرة البطل، كما قد توجد الحيوانات الناطقة وغيرها من الكائنات الأخرى.

- التأكيد على الصراع الأزلي الدائم والدائب بين الخير والشر، والحرص على حتمية انتصار الخير في النهاية، مهما بدا حجم هذا الصراع ومهما طال أو كثر أعوانه والذين يققون في صفه، وهذا هو لب الحكايات الشعبية الخرافية وبيت القصيد الذي تحبك فيه الحبكة وتدار عليه اللعبة وتتشابك حوله حبال العقدة.

### الهوامش:

(1) أمينة فزاري: مناهج دراسات الأدب الشعبي، ص 94.

(2) محمد عيلان: محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، الجزائر، ط1، 2013م، ص 71.

(3) محمد عيلان: محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، ص 70.

(4) ينظر محمد عيلان: محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، ص 70.